شخصية الطاغية في رواية "الورم" لإبراهيم الكوني.

The character of the tyrant in the novel (Alwaram) by "Ibrahim Al-koni"

مصطفى مهيدي*

جامعة مولود معمري – تيزي وزو – (الجزائر)

mustapha.mehidi@ummto.dz

تاريخ الاستلام: 2024/02/17 تاريخ القبول 2024/05/11 تاريخ النشر 2024/06/22

ملخص: تعدّ الشخصيّة من أهم عناصر الرّواية التي يركّز عليها المبدع أثناء كتابتها؛ فتحريك الشخصيات هو ما يصنع الأحداث في الزمكان ليعطينا سردا في قالبٍ ما، وتُعتبر رواية "الورم" للكاتب اللّيبي "إبراهيم الكوني" رواية استشرافية مزجت بين الميثولجيا الطارقية والعالمية وبين سرد له خصائص هويّاتية متعلّقة بالصحراء والعلاقة الحميمة التي تربط أهلها بها، وقد جاءت شخصيّات الرّواية متنوّعة ومتفرّدة بالأخصّ الشّخصية الرئيسيّة: شخصيّة الطّاغية الّتي لبست أساطير الصحراء والمعاناة والخطيئة ثم السّلطة فالطغيان، وقد نمت في مسارٍ سرديّ مرتبطةً بباقي الشخصيّات تؤثّر فيها وتتأثر بها.

الكلمات المفتاحية: الشّخصيّة؛ الطّاغية؛ الصّحراء؛ رواية الورم؛ إبراهيم الكوني.

Abstract: The character is one of the most important elements of the novel that the creator focuses on while writing it; moving characters is what creates events in space-time to give us a narrative in a certain form. The novel "Al waram" by the Libyan writer "Ibrahim Al-Koni" is considered a forward-looking novel that mixed Tariq and international mythology with a narrative that has identity characteristics related to the desert and the intimate relationship that links its people to it. The characters of the novel came diverse and unique, especially the main character: the character of the tyrant (Asanay), who wore myths of the

* المؤلف المراسل

desert, suffering, sin, then power, then tyranny. It grew in a narrative path linked to the rest of the characters, influencing and being affected by them.

key words: The character; The tyrant; the desert; The novel ‘‘Al waram’’; Ibrahim Al-Koni.

مقدّمة:

الشخصية محرّك رئيسي في عملية السّرد، وهذا ما جعلها تلقى اهتمام العديد من الباحثين والدّارسين، وقد اختلفت وجهات النّظر حول مفهومها ومكوّناتها فمن خلالها يقدّم الروائي رؤيته وتصوّره، وتعدّ رواية "الورم" لإبراهيم الكُوني واحدة من أبرز أعماله ذلك أنها تعتبر نبوءة لثورات الربيع العربي بما في ذلك الثورة الليبية، وقد قدّم الكُوني فيها سردا صحراويا ارتدت فيه الشّخصيّات ثوبا ميثولوجيا ومن بينها الشّخصية الرّئيسية "أساناي" التي تعني "الكافر" إذ نمَتْ هذه الشّخصيّة عبر المسار السّردي متأثرة بجملة من العوامل والأحداث ومتفاعلة مع شخصيات مختلفة لتتكوّن شخصية الطّاغية المهوس بالسلطة الرافض للتّخلي عنها، لكنّ النهاية كانت بهلاكه بسبب رفضه التّخلّي عمّا يحبّه أكثر من نفسه: الخلعة الجلديّة وهي عبارة عن رداء ميتافيزيقي يرمز للسّلطة التي امتلكها.

وقد لفتت هذه الشّخصيّة الرّئيسية انتباهنا بسبب كونها جوهر النّبوءة الموجودة في الرواية، وسنعمل على دراسة بداياتها ونموّها وتشكّلها عبر مراحل السّرد المختلفة وممارساتها وتفاعلها وارتباطها بالشّخصيات الأخرى، وانطلاقا من رؤية فيليب هامون كون "الشخصيّة وحدة دلالية قابلة للوصف والتحليل، لا تولد إلا من خلال ما تقوله أو تفعله أو ما يقال عنها في النّص"، فالشخصيّة يشارك فيها الكاتب والقارئ معا كدلالة سيميائية، وبالاستعانة برؤية بيير بورديو حول السّلطة الرّمزية ومساهمتها في تشكّل شخصية الطّاغية، ومن خلال هذا نؤسّس الإشكالية الآتية:

- كيف تشكّلت شخصية الطّاغية في رواية الورم لإبراهيم الكُوني؟

- وكيف تمّت صناعة التابع ودوره في تكريس سلطة الطّاغية عبر المسار السّردي من خلال الشخصيّات الثّانويّة؟
- ما وسائل الهيمنة والسّلطة الّتي تمارسها شخصية الطّاغية؟

مُلخّص روايَة "الورم":

تبدأ الرّواية باستيقاظ "أساناي" الذي وجد الخلعة الجلدية قد التصقت بجلده، هذه الهبة التي منحه إياها زعيم الصحراء؛ وجعله واليا على هذه الواحة، استدعى خادمه ليحاول نزعها لكن محاولته باءت بالفشل ثم استدعى ساحرا وكانت النتيجة أن اعترف له أنّ التحام الخلعة الجلدية بمعظم أجزاء جسمه هو نتيجة سحرٍ فريد يفوق قدرة البشر العاديّين وبعد أخذٍ وردّ أخبر الساحر وليّ أمره بالطريقة التي يمكنها تخليصه من مشكلته بعدما منحه الأمان، وكان حلّ معضلة "أساناي" يكمن في ضرورة تخلّيه عمّا يحبّه حبّا ليس له مثيل: أن يتخلّى عن خلعة الزّعيم، وذلك لأنّه لم يحسن استخدامها، وكانت حالته بعد سماع كلام السّاحر مزيجا بين غضب عارم وخوفٍ عميق مصحوبين بألم متزايد تسبّبه الخلعة التي تخترق جسده.

بعد أن يقوم "أساناي" بقتل الخادم والسّاحر ليكتم خبر اللّعنة التي أصابته يتذكّر أول زيارة للرّسول له وقد وجده نائما خارج أسوار الواحة بعدما سلبه النّاموس كلّ شيء بداية بفقدانه ماله الذي رهنه وقرينته التي باعها في مزاد السّوق نزولا عند رغبتها والتي لم يستطع استرجاعها لاحقا من مُشتريها؛ فحاول قتله بدسّ السّم في طعامه عن طريق أجير وهذا الانتقام إثم في عرف النّاموس وليس عدالة وسيدفع ثمنه لا محالة، فخسر كلّ صفقاته بعدها، وها هو رسول الزّعيم ينتشله صباحا ليبشّره أنّ الزّعيم اختاره ليكون خليفته في الواحة، لم يصدّق ما يسمعه في البداية لكنه فعل ذلك بعد حواره مع الرّسول الذي نصّبه أمام سكّان الواحة وليّ أمرٍ عليهم والخُلعة الموهوبة من مولاهم هي تاجه، وكان أوّل ما قام به المتوّج حديثا هو الانتقام واسترجاع قرينته التي تحوّل حسنها إلى قبح

شديد مُتناسيا أهمّ نصيحة من الرّسول المتمثّلة في استخدام الخلعة لخدمة الخير، ونيل الأمان لا في النّهم والانتقام؛ لأنّ ذلك مُهلكه لا محالة.

مرّت سنوات ليزور الرسول "أساناي" مرّة ثانية وأخيرة وقت غروب الشّمس ليخبره بقرار الزّعيم المتمثّل في تجريده من الخلعة بعد مساءلته في قضايا فساده وطغيانه الذي حاول أن يبرّره بكلّ ما أوتي من مكر وخداع، ثم ينتقل الراوي لسرد تفاصيل انتشار خبر اللعنة التي حلّت على وليّ أمر الواحة وكان للقرينين الكاهن ومريد العزلة الدور الرئيسيّ في نشر الخبر الذي أضحى على لسان العامة، كما انتشر خبر اغتيال السّاحر والخادم وضرورة تخلّي "أساناي" عن الخلعة إذا أراد النّجاة فهو مجرد سافل عبدٌ عندما يفقد، طاغية عندما ينال.

وبعدها تسترسل الرواية في وصف واحة "آدري" والواحات المجاورة لها مصوّرة البيئة الصحراوية والصراعات التي كانت موجودة للظفر بخيراتها وأبرز صراع ذلك الذي كان بين واحتي "آدري" الشمالية والجنوبية، لينتقل الراوي لسرد فحوى الصراع الذي كان سائدا بين النّاس حول هويّة الزّعيم وقد انقسموا بين حزبين هما: حزب اليقين وأصحابه يبجلّون الزّعيم الذي لم يروْهُ يوماً ويعلّلون ذلك بكون الحجاب من أساسيات الزّعامة عن طريق روايات غامضة، والحزب الثاني هو حزب النّكران الذي يرى أنصاره أنّ الزعيم مجرّد جنّ تارة ثمّ يبحثون عن دليل يثبت ذلك تارة أخرى فحتّى الجنّ يظهرون في أحيان كثيرة، وقد ظهر فريق ثالث يقول بأنّ الزعيم لو وُجِد حقا لكان له ولد، أمّا الرُّسل فلا يمثّلون سوى أنفسهم الخُلعة خلعتهم لا خلعة الزّعيم، وقد تسببت هذه الاختلافات في حروب وصراعات عانت منها الصحراء وأهلها أيّما معاناة.

تواصل الخلعة التوغّل في جسد "أساناي" مُسبّبة له ضمورا حتى صار جلدا على عظم فأُصيب بورم الجلد وتتداخل الأحداث وتشتدّ مع إصراره على رفض التّخلي عن الخلعة وإيقاع الرسول في فخ لمحاكمته كونه مجرما ويعدمه، وأثناء المحاكمة يحظر شخص

غريب للمشاركة فيها؛ وهذا الشخص يدعى "واتنهيط" ويتعرّف عليه الرّسول لكنّه يبقى وفيّا لأمانته ولا يكشف ذلك مفضّلا الإعدام بتهمة شهادة الزّور، بعدها يعمل الزّعيم على الاختلاء بـ"أساناي" لينزع عنه الخلعة تاركا إيّاه يموت بأبشع طريقة بعدما استفحل في جسده الورم.

تقديم شخصيّة الطاغية:

سنركّز في هذه الدراسة على شخصية "أساناي" والشخصيات الأخرى التي كان لها دور مختلف مراحل تشكل شخصية الطّاغية انطلاقا من كون الشّخصيّة "علامة يصدق عليها ما يصدق على كلّ العلامات. بعبارة أخرى، إنّ وظيفتها وظيفة خلافية، فهي كيان فارغ، أي "بياض دلالي"، لا قيمة لها إلا من خلال انتظامها داخل نسق هو مصدر الدلالات فيها، وهو منطلق تلقيها أيضا"[1].

السّارد والشّخصيّة:

وأول ما يلفت انتباهنا هو اعتماد "الكوني" في بداية تقديمه لهذه الشخصية على السارد العليم الذي يمدنا بالمعلومات حول الشخصية، وفي هذا النمط من التّقديم يجعلنا السارد "نرى بأقصى ما يمكن من الوضوح إلى الشخصية التخييلية، صنيعة المؤلّف، كما لو كانت شخصية محتملة وتتوفر على أثر الواقع اللازم من خلال ما يحمّلها إياه المؤلف من الصفات والطبائع وباقي التمييزات الوضعية الأخرى. وهكذا يلعب الراوي دور الوساطة، بين القارئ والشخصية"[2]، يقول السارد: " استيقظ "أساناي" بعد القيلولة فوجد أن الخلعة قد تلبّست جسده. تذكّر أنه غفا على النطع مرتديا الجبّة المهيبة وهو الذي حرص أشدّ الحرص دائما على خلعها كلما داهمه النعاس أو تأهب لنومةٍ ليلفها بعناية في كل مرّة قبل أن يستودعها الجراب: يمسح عنها ذرات الغبار براحة يده، أو نفخا بالهواء من فمه، أو حتى لحسا بلسانه، ولا يتركها لترقد في جوف الجراب إلا بعد أن يقوم بلفها في ثوب آخر منسوج من الخز، لكنه لم يحدث أبدا أن خذلته قواه فصرعه النوم متلبسا بالخلعة قبل اليوم"[3].

يكشف لنا هذا المقطع مدى تعلق "أساناي" بهذه الخلعة فالسّارد في أول تقديم له لهذه الشّخصة ركّز على مبالغة "أساناي" في الاهتمام بالخُلعة الجلدية، دون الإشارة إلى أيّ وصف خارجي لمظهره، وهنا يحصل للقارئ أول اتصال بهذه الشخصيّة التي سيتعرّف عليها بشكل تدريجي كلّما تقدّم في القراءة.

نشأة شخصيّة "أساناي":

لدراسة نشأة الطّاغية لابدّ من العودة إلى البدايات؛ إذ أنّ السارد لم يقدم هذه النّشأة في مستهل الرّواية بل صاغها عن طريق تقنية الاسترجاع في مختلف فصول الرواية، وأوّل اسرجاع في الرواية كان عندما راح صاحب الخلعة يتذكّر حياته قبل نيل الخلعة المهيبة وكيف سلبه الناموس كل شئ بدءا بخسارته لصفقة سخيّة رهن كل ما يملك فيها بسبب قُطّاع الطّرق، ثمّ اضطر لبيع قرينته في مزاد السوق لفك الرهن المشؤوم، لأنّ الوصية القديمة تقول بأن من رهن ماله لمعشر التجار قد رهن رقبته بيد واتنهيط زعيم الإغواء الذي تتحدث بسيرته الأجيال، ثم حاول محو عاره باستعادة قرينته لكن مشتريها رفض ذلك, فاستأجر قاتلا ليدس له السّم في الطعام؛ وهذا الانتقام في عرف الناموس خطيئة يدفع صاحبها الثمن عاجلا أم آجلا، وقد دفع ثمن ذلك بخسارته لكل الصفقات التي أعقبت ذلك لينتهي به الأمر إلى المبيت مشرّدا في عراء الصحراء خارج حدود الواحة [4]. وهنا يكون أساناي قد رهن رقبته بيد واتنهيط وهذا الرّهن بمثابة عقدٍ بينهما.

كما يسترجع تلك الأيّام التي أعقبت محنته التجارية وسبقت بيع القرينة في ساحة السوق حين حاول وضع حدّ لحياته لكن محاولته باءت بالفشل[5]، وبالتالي فقد وصل أساناي إلى حالة هوان وتشرد قبل نيله الخلعة، "إذ تؤكد الدراسات السيكولوجية لظروف حياة أغلب الطغاة في العالم انحدارهم من قاع المجتمع، وتعاني بيئتهم العوز والفقر والجهل والاحتقار الاجتماعي، وتلك الظروف عكست ترسباتها السلبية في وجدانهم، وأخذت تفعل فعلها في سلوكهم العام".[6]

وبعد أن قدم إليه الرسول عند الشروق وأخبره أن الزعيم اختاره ليكون خليفته في الواحة أجابه أساناي:

- ولكن أهل الواحة رأوني دوما أرذل الناس.[7]

فأهل الواحة الذين يمثلون الشخصيات الاجتماعية من فئة الشخصيّات المرجعيّة وموقفهم من أساناي له دور في بناء شخصية الطّاغية، والمكانة الدّنيئة التي هوى إليها ستفعل فعلها في سلوكه العام وشخصيّته بعد نيل الخلعة وتنصيبه واليا على الواحة، فهي ترسّبات نفسية واجتماعية لا واعية، وفي هذا السياق نستفيد من المنظور السيميولوجي لفيليب هامون الذي اعتبر الشّخصية الروائية وحدة دلالية تبدأ فارغة ثم تمتلئ تدريجيا "لذلك لا تمتلئ الشّخصية إلا في آخر صفحة من النّص"[8].

وتأسيسا على هذا التصور فإن السارد قدم شخصية أساناي بإظهارها في أول أسطر الرواية وترك جملة من الفراغات يتم ملؤها خلال المسار السردي من خلال مميزاتها الذاتية أو علاقتها مع الشخصيات المجاورة لها في المتن الروائي بمشاركة القارئ وما يستنتجه.

شخصيّة الطّاغية: الوسائل والممارسات

شخصية الطاغية لا تعمل منفردة وإنّما تحتاج للكثير من المساعدة لممارسة دكتاتوريتها سواء رمزية أو بالقوة الغاشمة أو غيرها وهذه الآليات المساعدة هي وسائل في يد الطاغية ليمارس طغيانه.

الوسائل:

وتكمن نقطة التحول في شخصية أساناي في الهبة التي وهبه إياها الزعيم عن طريق الرسول "الذي حذره من مغبة استخدام الهبة لإرواء النهم إلى الانتقام، لكن أول ما قام به ولي أمر الواحة الجديد هو استرداد قرينته مستعينا بالزبانية فوجدها كأنها مسخ وما كان منه إلا أن طردها ثم بعث بعد أيام بأحد الزبانية ليكتم أنفاسها، وواصل اختراقه للناموس والاستهانة بالوصية في سلسلة أعمال جوهرها الخطيئة "[9]

وهنا أصبح أساناي وليّ أمر الواحة ولا يمكن لأهل الواحة معارضة ذلك فقد نال الخلعة المهيبة وقد ووُهِب السّلطة، وهو المنبوذ والمرفوض، ولم تكن امتيازا ناله بعد جهد وعمل بل مُنحت له من طرف الزّعيم الذي لا يعرفه أحد وتمثل شخصيته مصدر السّلطة الرّمزية وناموسُه هو الشّريعة الّتي يجب التقيّد بها "ذلك أنّ السّلطة الرمزية سلطة لا مرئية ولا يمكن أن تُمارس إلّا بتواطؤ أولئك الذين يأبون الاعتراف بأنهم يخضعون لها با ويمارسونها"[10]، أما الرسول فيمثل شخصية مرجعيّة تدلّ على مكانة الزعيم المقدّسة، وهي شخصية مجاورة لشخصية الطّاغية تعمل على الوساطة بينه وبين الزّعيم، أمّا الانتقام فيمثّل شخصيّة مجازيّة لعبت دورها في إبراز أولى ممارسات الطّاغية، وهي شخصيّة ناتجة عن ترسّبات نفسيّة واجتماعية لا واعية سابقة.

الممارسات:

وهكذا وصلت شخصية أساناي بعد نيل الخلعة إلى مرحلة الطغيان واستغلال السلطة بخرقه للناموس متى شاء ويرى جون توشار "أن الطاغية عندما يصبح مُستبدّا أو مُطاعا لا يجد غضاضة في سفك دماء شعبه، فهو يسوقهم إلى المحاكم بتهم باطلة، وهي طريقة مألوفة لدى هذه الفئة من الطغاة, إنه يحتقر القوانين المكتوبة وغير المكتوبة، ولا يجد من يقف في وجهه، يصبح عبدًا لجنون العظمة ويسفر حكمه عن كارثة حقيقية" [11]

وبعد مرور زمن من حكم صاحب الخلعة أتاه الرسول عند الغروب ليخبره بقرار الزعيم القاضي بنزع الخلعة والسلطة وتجريده من الحكم بسبب خرقه للناموس واستبداده لكنه حاول أن يدافع عن نفسه بمختلف الحجج الماكرة كقوله:

- ظننت أن الخلعة شرف أبدي، ولم يخطر ببالي يوما أن تكون دمية من دمى الأطفال .[12]
- ظننت مرضاة الزعيم دين في رقابنا جميعا. هذا على الأقل ما ورثناه عن أسلافنا في الوصايا

- أخطأت يجب أن تطلب مرضاة الناموس الذي سنه الزعيم لا أن تطلب مرضاة الزعيم... وإكبار الزعيم ليس في مرضاة الزعيم ولكن في إكبار ناموسه الذي أطلقت عليه الأجيال اسم: الحقيقة.[13]

وفي هذا الجزء تدخل شخصية الطاغية في مرحلة التشبّث بالسلطة خاصة مع وجود تهديد صريح لإزالتها من على عرشها، فيحاول أساناي الاستنجاد بشهادات الأهالي وطلب شفاعة من الزعيم بواسطة الرسول:

أستطيع أن أشفع ما استطعت إلى ذلك سبيلا، ولكن الحكم الأخير ليس بيدي لأني لست سوى الرسول الذي يحمل البلاغ. أما الأهالي فهم الطرف الأضعف في شهادة براءتك كما راق لك أن تسميها، لأنك نسيت سجيّة الناس الذين لا يهفون إلى شيء كما يهفون إلى نكران الإحسان. كما نسيت حنين هؤلاء إلى التغيير حتى لو جاءهم هذا التغيير بالبلايا بدل العطايا.[14]

فالخلعة الممنوحة من قبل الزعيم كانت السلطة الرمزية التي نصبت أساناي واليا على الواحة، والزّعيم الخفيّ وناموسه يمثلان الحقيقة ومن دونهما يزول سلطان صاحب الخلعة لذلك هو يحاول استرضاء الزعيم الذي يرمز للألوهية وناموسه هو الشريعة التي تسير الصحراء، لكن المتوَّج قد تجاوزَ هذه الشريعة مستغلًّا الهبة، وحسب عبد الرحمن الكواكبي فإن " الطاغية يتحكم في شؤون الناس بإرادته لا بإرادتهم, ويحكمهم بهواه لا بشريعتهم "[15]، وهذا ما فعله أساناي فهو لم يستغلّ السّلطة فحسب بل تجازها بتجاوز ناموس الزّعيم.

وبعد تلبس الخلعة في جسد أساناي ينادي على أحد الخدم ليساعده على نزعها مخاطبا إياه بازدراء:

– ماذا تقول يا سليل النحس "[16]

ثم استدعى ساحرًا ليخلِّصه من معضلته لكنه طلب منه أن يتخلى عن الخلعة كونه لم يحسن استخدامها وقد كان المستدعى حذرا في حواره مع أساناي خوفا من بطشه فكان يطلب منه الأمان قبل الإجابة على أسئلته وقد منحه إيّاه أساناي:

- حسبتك وهبتني الأمان.

ساد سكون. استدرك بعدها "أساناي ":

- بلى لقد وهبتك الأمان شريطة ألا تحدثني بألسنة الدهماء أو الأعداء[17].

وبعد أن يخبر الساحر ولي أمره بكل ما يعرفه حول مصيبته ويؤكد أن لا حل له سوى التخلي عن خلعة الزعيم التي لم يحسن استخدامها، ينتفض "أساناي" قائلا:

- لم أمنحك الأمان لتصب في أذني ثرثرات الدهماء وحجج الأعداء، فاحترس[18].

ثم انتقل السارد ليخبرنا عن نبأ مصرع الساحر الذي بلغ أساناي وهو يتساءل عما إذا أخطأ بإخفائه أمر الرسول عن الساحر الذي قتله مع العبد المارد، فقتل كل من يعارضه أو يمثّل تهديدا له أصبح ممارسة متكرّرة إذ يرى جون لوك "أن الطغيان يبدأ عندما تنتهي سلطة القانون، أي عند انتهاك القانون وإلحاق الأذى بالآخرين "[19]

فقتل السَّاحر والعبد -وهما شخصيّتان اجتماعيتان تمثلان المجتمع المقهور- في عرف الناموس إثم وخطيئة، والناموس هو القانون والشريعة التي تحكم عالم الصحراء ولا يجوز تجاوزه من قبل أي شخص حتى الحاكم نفسه. وعند وجود تهديد لسلطة الطاغية فلابد له من وسائل وممارسات للهيمنة غير مشروطة للحفاظ عليها، "فهو يعترف بحبّه للخلعة، لا لأنها سلطان، لا لأنّها غنيمة، بل لأنها طريدته وهدفه الّذي يعيش من أجله"[20]. وهذا الحبّ يعتبر شخصيّة مجازيّة ساهمت في تشكّل شخصية الطّاغية.

فقتْلُه للكاهن والعبد اللذان كانا أول من شاهد اللّعنة التي حلّت عليه يعتبر مثالاً لسلوكه اتّجاه الشخصيات الأخرى، وما أخبرت به الشخصية ذاتها عن نفسها أو السارد في المتن الروائي هي مصادر تملأ الفراغ الموجود في هذه الوحدة الدلالية تدريجيا

– حسب هامون– فالشّخصية تتكون أيضا من خلال علاقتها مع الشخصيات المقابلة والمجاورة لها، وقد دمج السّارد بين ذكر المظاهر الخارجية والداخلية لشخصية أساناي مركّزا أكثر على الخصائص النفسية التي تحفّز الذهن على التأويل والتفسير داخل النص.

عرفت الشخصيّات المتكرّرة حضورا واسعا في الرواية خصوصا تلك الشخصيات التي تشتغل على استرجاع مواقف وأحداث سابقة بهدف التذكير بالأحداث مثل حوار إيدبنان وأساروف حول قتل أساناي للعبد والساحر والجارية التي قطع لسانها وبفضلهم انتشر خبر اللعنة التي حلت عليه المتمثّلة في توغّل الخلعة داخل جسده.

ومع الحضور الواسع للشخصيات المتكررة في النص خاصة تلك التي تشتغل على استرجاع المواقف الأحداث السابقة، فإن الشخصيات المجاورة لشخصية أساناي قد أثرت بهذه الاسترجاعات على شخصيّة الطاغية لأنه كان جوهر هذه الأحداث مثل كشف حقيقة اللّعنة التي حلت عليه؛ فهو بالنسبة لأهالي الواحة مجرد سافل عبد عندما يفقد, طاغية عندما ينال.

ومن خلال الشخصيات المجاورة لشخصية أساناي فقد استطعنا ملأ الفراغات المتعلقة بشخصية الطاغية تدريجيا وذلك من خلال احتكاكها بالشخصيات الأخرى وما تقوله تلك الشخصيات عنها، فصاحب الخلعة بالنسبة للأهالي شخص منبوذ لكن السلطان الذي مُنِح له يجعله مُهابا ومصدر هذا السلطان هو الزعيم الذي مهما اختلفوا حول هويته وسبب حجابه يبقى مصدر السلطة وناموسُه هو مصدر الشريعة، ومن خلال هذا نستطيع القول أن السلطة الرمزية وصناعة التابع من خلالها كانت الداعم الأكبر لنموّ شخصية الطاغية.

عاد الرسول مرة أخرى إلى أساناي ليبلغه أن الأهالي لم يقفوا في صفه وأن القرار الأخير للزعيم يقضي بتجريده من الخلعة وعلى رأس قائمة التهم الموجهة إليه: الطغيان، لكن أساناي حضّر خطّة لينجو من العقاب المتمثّل في الإعدام المحتمل الناجم عن نزع الخلعة التي توغلت في جسده، فاتّهم الرسول بأنه رسول زور وأعد له محاكمة وطلب من الأهالي أن يختاروا ستة عقلاء للمشاركة في المحاكمة لكنهم وجدوا خمسة فقط لأن السادس إيدبنان رفض المشاركة كونه مريد

عزلة، فاتفقوا أن يكون أول غريب يدخل الواحة سادس العقلاء ولم يكن إلا حكيم الأغراب الذي دخل مقنعا وهو نفسه واتنهيط الذي يعرف باسم لئيم الأجيال.

فالشخصيات الخمسة الممثّلين لعقلاء الواحة هم شخصيات اجتماعية متواطئة مع شخصية الطاغية وتمثّل الرأسمال الرمزي الذي يعتمد عليه أساناي فسيوافقون على كلّ ما يطلبه، أمّا الشخصية السادسة فهي شخصيّة واتنهيط الذي سبق لأساناي أن رهن رقبته بيده.

مصير شخصيّة الطّاغية:

وقد نجح الطاغية في إعدام الرسول الذي رفض النجاة عن طريق الاعتراف في المحكمة بأنه رسول زور كما طلب منه صاحب الخلعة، وقد استغل أساناي الجدل الذي كان قائما منذ القديم حول حقيقة وجود الزعيم من عدمها وسبب حجابه، أما مريد العزلة فقد اعترف في حواره مع أساناي أنه لم ير الزعيم بل أراد أن يبرهن على شيئ لا يمكن البرهنة عليه عندما ادّعى أنه رآهُ، في قوله:

- من عرف الزعيم حقا ليس في حاجة لأن يراه مجسدا[21].

ومن خلال هذا فإن الطاغية قد تمرد على السلطة الرمزية التي جعلته واليا على الواحة فأعدم الرسول وسجن إيدبنان وراح يطلب من واتنهيط أن يبني له حجابا محاكيا الزعيمَّ في احتجابه، وبعد أن أتمّ لئيم الأجيال واتنهيط بناء هذا الصرح نقل صاحب الخلعة إليه واختلى به في هذا المكان الموجود أسفل الأرض لينزع عنه الخلعة، فلئيم الأجيال يتقن لغة الخفاء وهو من يحدد الأشخاص الذين يمنحهم الخلعة فهو الزعيم.

ومن خلال تظهرات شخصيّة الزعيم يمكن اعتبارها المؤسّسة التي تصدِر السّلطة وتحدّد القدسي في المجتمع "فربّما لم يكن القدسي إلّا وليد المجتمع"[22]، وقد كانت نهاية أساناي بسبب الورم الذي أصابه نتيجة توغل الخلعة داخل جسده لكن هلاكه في النهاية كان على يد الزعيم بعد أن استرجع منه الخلعة التي منحه إياها وكان ذلك أسفل الأرض.

خاتمة:

من خلال بحثنا هذا نتوصل إلى النتائج الآتية:

- الشخصيّة في المتن الرّوائي تبدأ فارغة ويتم ملؤها تدريجيا بمشاركة القارئ.
- احتكاك الشّخصية بالشّخصيات الأخرى يساهم في نموّها خلال المسار السّردي.
- تتشكّل شخصية الطّاغية في البداية انطلاقا من الجانب السيكولوجي والأزمات التي تمر بها شخصية الطّاغية أثناء نشأتها في مجتمعها كالنبذ والاحتقار تولّد الحقد اتّجاه عامة الناس.
- السلطة الرمزية المبنية على الدين أو العرف السائد تؤدي بالشخصية التي تصل إلى الحكم إلى الطغيان والاستبداد ويساعدها في ذلك شخصية التابع بمختلف أدواره.
- شخصية الطّاغية تهيمن بوسائل وممارسات جائرة من أجل استمرارها في السّلطة.
- شخصية الطاغية ترفض التخلي عن السلطة لأنها تعتبرها مكانتها الطبيعية وحقها المشروع.
- شخصية الطاغية لا تمتثل لأي شريعة أو قانون حتى ولو كانت سبب وصولها إلى سدة الحكم.

الهوامش:

1 فيليب هامون، سيميولوجيا الشخصيات الروائية، تر: سعيد بنكراد، تقديم: عبد الفتاح كيليطو، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، سورية، 2008م، ص12، ص13.

2 حسن البحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1990، ص 233.

3 إبراهيم الكوني، الورم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 2008، ص7.

4 ينظر، ابراهيم الكوني، ص24-25.

5 ينظر، ابراهيم الكوني، ص82-83.

6 صاحب الربيعي، سلطة الاستبداد والمجتمع المقهور، صفحات للدراسات والنشر، ط1، دمشق، سورية، 2007، ص18.

7 ابراهيم الكوني، الورم، ص26.

8 فيليب هامون، سيميولوجيا الشخصيات الروائية، ص42.

[9] ينظر، ابراهيم الكوني، الورم، ص33-34.

[10] بيير بورديو، الرمز والسّلطة، تر: عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، ط3، الدار البيضاء، المغرب، 2007، ص48.

[11] صاحب الربيعي، سلطة الاستبداد والمجتمع المقهور، ص31.

[12] ابراهيم الكوني، الورم، ص45.

[13] ينظر، ابراهيم الكوني، الورم، ص49.

[14] ينظر، ابراهيم الكوني، الورم، ص51.

[15] صاحب الربيعي، سلطة الاستبداد والمجتمع المقهور، ص30.

[16] ابراهيم الكوني ، الورم، ص9.

[17] ابراهيم الكوني، الورم، ص 21.

[18] المرجع نفسه، ص 22.

[19] صاحب الربيعي، سلطة الاستبداد والمجتمع المقهور، ص30.

[20] ينظر، ابراهيم الكوني، الورم، ص89.

[21] إبراهيم الكوني، الورم، ص 145.

[22] بيير بورديو، الرمز والسّلطة، ص28.